

ألف حكاية وحكاية (٧٣)

منقار لا يفتت الخبز الجاف

وحكايات أخرى

تأليف
يعقوب الشاروني



رسوم
عادل البطراوي

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي
الفيالة - القاهرة

تحت مظلة المطعم المصنوعة من سقف النخيل ، وقفنا نتناول إفطارنا ، قبل أن ننطلق إلى مياه شاطئ المدينة الساحلية ، التي أطلقوا عليها اسم " مدينة المياه الصافية " . وهي حقاً أهذا مياه على طول شواطئ شبه جزيرة فلوريدا ، التي تمتد آلاف الكيلومترات . ومن فوق النجيل الذي يغطي الحديقة حولنا ، اقترب طائر رشيق ، يرفع رأسه في اعتداد ، ويخطو بساقيه الرفيعتين على مهل . وتطلع إلينا وهو يمدُّ نحونا منقاره الطويل . وفهمنا أنه يطلب مشاركتنا الطعام ، فألقينا إليه قطعة كبيرة من الخبز المحمص (التوست) .

وفي خطواتٍ ذكرتنى براقصات الباليه ، اقترب الطائر من قطعة الخبز ، والتقطها بمنقاره ، لكنه اكتشف صلابتها ، فأعادها إلى الأرض ، وظل ينقرها ، فلم تنفتت . وهكذا تأكد أنها أكبر وأكبر صلابه من الأسماك التي اعتاد أن يتعامل معها بمنقاره . وثوقفت أن يترك تلك اللقمة غير المناسبة ، وهو ما يفعله عادة غيره من الطيور . لكن هذا الطائر أمسك بمنقاره طرف قطعة الخبز الجاف الكبيرة ، وانطلق يخطو بها بعيداً عنا .

وراقبته في دهشة ، وأنا أتساءل عما سيفعلُ بها .
وبعد لحظات ، وجدته يُغطسُ منقارهُ وبه الخبزُ ، في حفرةٍ
صغيرةٍ امتلأتُ بالماء الذي يروى الحديقة .
ثم رفع قطعة الخبز بعد لحظاتٍ وقد أصبحت لينةً ، فاستطاع أن
يفتتها بسهولةٍ بطرفِ منقاره ، ثم تناولها قطعةً بعد أخرى ، حتى لم
يبقَ من الفتاتِ شيءٌ !!





فِي زيارَةِ لمدِينَةِ بُولُونِيَا بِإِيطَالِيَا ، ذَهَبَتْ زَمِيلَةُ لَتَشْتَرِي زَوْجًا
مِنَ الْأَحْذِيَةِ لِابْنِهَا الصَّغِيرِ . وَفِي الْمَحَلِّ الصَّغِيرِ الْأَنْيَقِ ، قَابَلَتْهَا بَائِعَةٌ
فَائِقَةُ الْجَمَالِ تُجِيدُ اللُّغَةَ الْإِنْجَلِيزِيَّةَ الَّتِي تَعْرِفُهَا الزَّمِيلَةُ جَيِّدًا ، لَكِنِّهَا
كَانَتْ صَارِمَةً الْمَلَامِحِ ، وَجْهُهَا لَا يَعْرِفُ الْإِبْتِسَامَ . وَعِنْدَمَا طَلَبَتْ
الزَّمِيلَةُ مَشَاهِدَةً نَوْعٍ بَعْدَ آخَرٍ مِنَ الْأَحْذِيَةِ ، ظَهَرَ الضِّيقُ عَلَى وَجْهِ
الْبَائِعَةِ ، ثُمَّ تَشَاغَلَتْ عَنْهَا بِزُبُونٍ آخَرَ .

وَعُضِبَتِ الزَّمِيلَةُ ، وَاعْتَزَمَتِ الْخُرُوجَ بِغَيْرِ أَنْ تَشْتَرِيَ شَيْئًا .
وَعِنْدَ الْبَابِ ، قَابَلَتْهَا بَائِعَةٌ أُخْرَى .. لَا .. بَلْ قَابَلَتْهَا ابْتِسَامَةٌ رَقِيقَةٌ ..
إِبْتِسَامَةٌ فِي الْعَيْنَيْنِ وَعَلَى الشَّفَتَيْنِ ، وَتَمَلَّأَ الْوَجْهَ كُلَّهُ .. لَمْ تَكُنْ
جَمِيلَةً الْمَلَامِحِ ، وَلَا تَعْرِفُ إِلَّا اللُّغَةَ الْإِيطَالِيَّةَ الَّتِي تَجْهَلُهَا الزَّمِيلَةُ
تَمَامًا ، لَكِنَّ هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةَ أَعَادَتْ زَمِيلَتَنَا إِلَى دَاخِلِ الْمَحَلِّ .

وتقدّمتِ البائعةُ صاحبةُ الابتسامةِ من الزميلةِ ، تسألُها بالإيطاليةِ
عن طلبِها . وفي الحالِ تبدّدَ غضبُ الزميلةِ . ورغمَ حاجزِ اللغةِ ، تمَّ
التفاهيمُ . وأشارتِ الزميلةُ إلى نافذةِ العرضِ ، تحدّدُ ما تُريدُ .
وبعدَ نصفِ ساعةٍ ، كانتَ قد اشترتْ لابنِها ثلاثةَ أزواجٍ من
الأحذيةِ ، لا زوجًا واحدًا !!



لعبة توازن فوق البطة الهزازة

استقرت البطة الخشبية فوق " ياي " من الحديد القوي الملتف حلزونياً ، ليجلس عليها صغار الأطفال ، يتمتعون باللعب في أمان ، واللعبة تهتز بهم في رفق إلى الخلف وإلى الأمام .

مطار استكهولم

عزفنة
أنشطة الأطفال



واقتربتُ صبيةٌ في الثامنة من عمرها ، وقد أعجبتُها اللعبة التي وجدتُها في القاعة الخاصة بأنشطة الأطفال في مطار استكهولم الدولي ، وفي نفس الوقت وجدتُ أن اللعبَ بها أقلُّ كثيرًا من مستوى سنها . ومع ذلك رأيتها تتقدّمُ ناحية اللعبة .

وبدلاً من أن تجلسَ عليها ، بدأتُ في محاولة الوقوف فوقها . وكلما حاولتُ ، زادَ الاهتزازُ ، وتزايدَ خطرُ السقوطِ . وبعدَ عدةِ محاولاتٍ ، وقفتُ الصبيةُ مبتسمةً في انتصارٍ ، وقد فردتُ ذراعيها عن آخرهما ، لتحفظَ توازنها فوق تلك القاعدة المَهترَة .

وأعجبتُها لعبة التوازن ، فبدأتُ تضغطُ بقدميها ليزدادَ الاهتزازُ ، فازدادَ تمايلُها ، وزادَ مجهودُها لحفظِ توازنها . لكنَّ عندما أصبحَ الاهتزازُ أقوى مما تستطيعُ احتماله ، قفزتُ ضاحكةً إلى الأرضِ .

ولم أكنُ وحدي الذي شاهدتُ تلك المحاولة ، لذلك سرعانَ ما كانَ هناك طابورٌ من الأطفال ، كلُّ واحدٍ منهم يحاولُ اختبارَ مدى قدرته على حفظِ توازنه لأطول وقتٍ ممكنٍ فوق تلك البطّة الهزّازة ، التي ابتكروا لأنفسهم أسلوبَ لعبٍ عليها ، لعلَّه لم يخطرَ أبداً على فكرٍ من ابتكرها .



حمام سباحة في حجم كرة القدم

حفرة صغيرة وسط نجيل أخضر ، يفرش حديقة القرية السياحية
على أحد شواطئ ميامي بفلوريدا الأمريكية .. الحفرة يصب فيها
أنبوب الماء العذب الذي يروى الحديقة .
وحول حافة الحفرة ، وقف ثلاثة عصافير متوسطة الحجم ، مدّ
كل منها منقارَه وشرب .

ثم قفز أولها وسط الماء القليل الذي يملأ الحفرة ، وغطس ، ثم
ظهر على سطح الماء ، ونفض ريشه . ثم عاود الغطس والاستحمام ،
ونفض الماء ، بينما زميله يرقبانه . وأخيراً قفز مُتَعِشاً إلى حافة
الحفرة .

بعده قفز زميله الطائر الثاني ، واستمتع بحمامه في بحيرة الماء
الصغيرة جداً ، والتي لا تتسع إلا لطائر واحد ، ونفض ريشه ثلاث
مرات ، ثم قفز نشيطاً إلى الشاطئ .

وبعدها نزل الثالث ليأخذ دوره سعيداً بالماء الدافئ . ثم
انطلقت الطيور الثلاثة تحلق طائرة معاً .



سألت نفسي : " كيف اتفقت هذه العصافير الثلاثة على هذا النظام الدقيق في الاستمتاع بالاستحمام واحداً بعد الآخر ، لا يزاحم أحداً زميله ، وكل منهم ينتظر دوره ؟ وكيف أدركت منذ البداية ، أنه إذا زاحم أحدهم الآخر ، فلن يستمتع أي واحد منهم بالاستحمام في البحيرة التي لا يزيد حجمها عن حجم كرة القدم ؟ "

طفل في الثالثة وطفلة في الخامسة، تطلبُ منهما أمهما مراتٍ مُتعدِّدةً أن يجلسا بجوارها، لكنها تكتشفُ في كلِّ مرةٍ، بعدَ لحظةٍ واحدةٍ، أنهما انطلقا يجريانِ بين مقاعدِ المسافرين، في إحدى قاعاتِ الانتظارِ بمطارِ استكهولم الكبير.

كانتُ أمامها ستُ ساعاتِ انتظارٍ طويلةٍ، قبلَ أن يحينَ موعدُ الطائرةِ التي ستسافرُ بها إلى أمريكا، بعدَ أن وصلتُ من مصرَ منذُ ساعةٍ. وظهرَ عليها الضيقُ، لكثرةِ ما طارَدَتِ الصغيرتينِ في الممراتِ وبين المقاعدِ وحولَ أرجلِ المسافرين.



واقتربتُ منها فتاةٌ رشيقةٌ، ترتدى زيَّ المضيفاتِ الأرضياتِ العاملاتِ بالمطار، وقالتُ لها في ابتسامةٍ رقيقةٍ: "لماذا لا تذهبينَ بهما إلى غرفةِ أنشطةِ الأطفالِ؟"

ثم أشارتُ إلى بابٍ حولهَ رسومٌ جذابةٌ لأطفالٍ يلعبونَ،

وقالتُ: "إنها هناك."

وأمسكتِ الأمُ بأيدي طفليها ، وانطلقت مُسرعةً إلى غرفة
" أنشطة الأطفال " .

واندفع الصبيُّ إلى لوحةِ خضراءٍ مُعلّقةٍ على الجدار ، أمامها
رفٌّ به قِطْعُ من الألوان المختلفة ، وانطلقَ يرسمُ .

أما الطفلةُ ، فتسلّقتْ سُلّمًا من درجتين ، لتنزلقَ على
" الزحليقة " المحدودة الارتفاع .

ومن حولهم ، رأيتُ عشرات الأطفال يرسمون ، أو يبنون
البيوت بقطعِ المكّبات أو يشاهدون أفلامَ الأطفال على شاشةِ
تلفزيون كبيرة ، أو يتحكّمون في آلاتِ كمبيوتر تعملُ بمُجرّدِ لمسِ
الأصابع للشاشة .

وهكذا أحستِ الأمُ أخيرًا بالراحة .



ماذا تفعل إذا وجدت نفسك قد التصقت في مقعد جلست عليه ، بسبب قطعة " لبان " ، تخلص منها شخص آخر ؟ هذا هو السؤال الذي واجه المسؤولين في إحدى شركات الطيران الأمريكية الشهيرة .

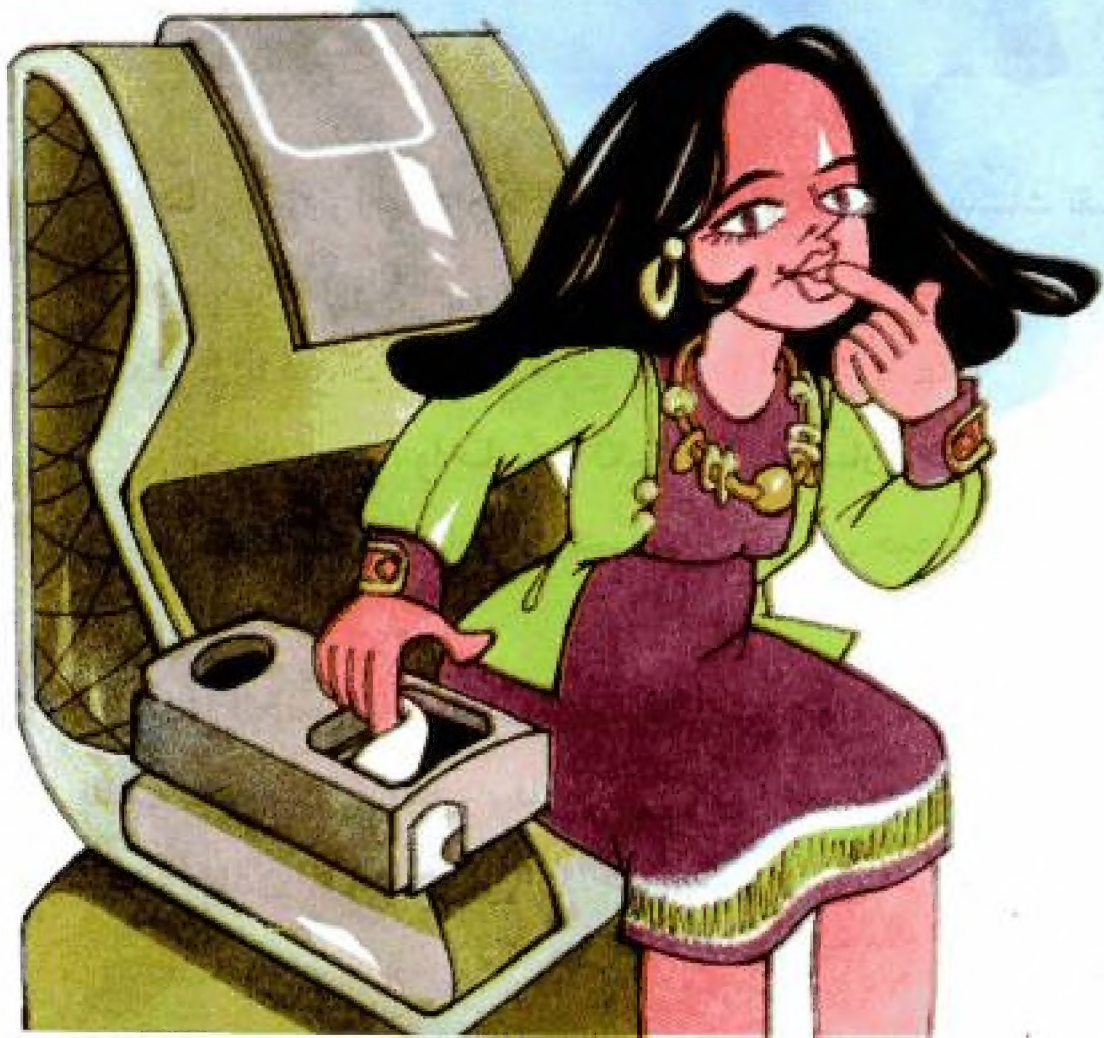


لذلك لجأت إلى الخبراء الذين يستطيعون حل هذه المشكلة .. لقد ذهبت إلى الأطفال .

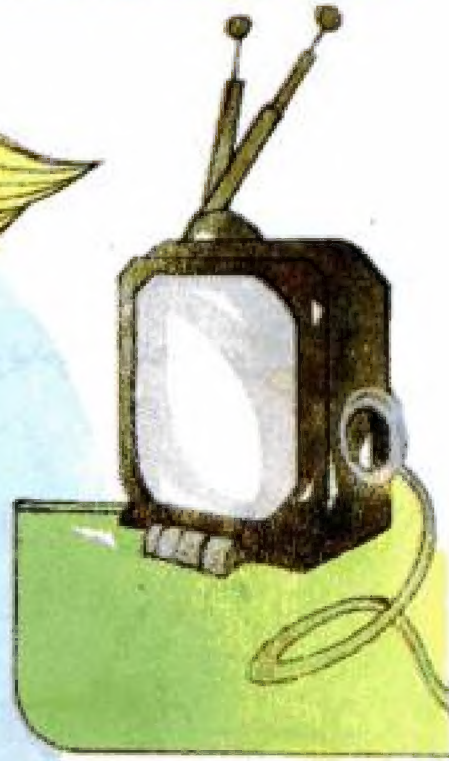
وفي إحدى المدارس الابتدائية ، طرحت على التلاميذ السؤال التالي : " هل تستطيع اختراع وسيلة ، تجعل الناس يتوقفون عن لصق قطع اللبان أسفل مقاعدهم داخل الطائرات ؟ "

وتوصّل صبيُّ عمره ١١ سنةً إلى الحلّ الذي فازَ بالجائزةِ الأولى . لقد اقترحَ إعدادَ مكانٍ في ذراعِ المقعدِ ، يسحبُ منه الراكبُ قطعةَ قماشٍ رقيقةً ، يلفُ بها قطعةَ اللبانِ ، ثم يضعُ اللقافةَ في ثقبٍ صغيرٍ مجاورٍ ، كأنه صندوقُ قمامةٍ صغيرٍ الحجم . وقالَ المُخترعُ الصغيرُ : " إن مَنْ يرتكبونَ الخطأَ ، يفعلونَ ذلكَ لأنهم لا يعرفونَ ماذا يفعلونَ بقطعِ اللبانِ التي يريدونَ التخلصَ منها . "

وقد " التصق " حلُّ الصبيِّ بخطط شركة الطيرانِ ، التي تبحثُ الآنَ إمكانيةَ تنفيذهِ في طائراتها .



رؤية جديدة لأشياء قديمة : أنا حر !!



سأل الشاطر أمين ، جدّه الحكيم عبد المعين : " سمعتك تقول
إن الإنسان حرٌ ، لكنني حاولتُ أن أسير بسرعة الحصان ، فلم
أستطع .. أنا غيرُ حرٌّ في أن أجرى بالسرعة التي أريدها !! "
ضحك الجدُّ ، وأجاب : " لكن عقل الإنسان اخترع السيارة
والقطار ، فاستطاع الإنسان أن يسير أسرع من أي حيوانٍ ظهر على
الأرض !! "

قال الحفيدُ : " و حاولتُ أن أسمع أخى صوتي من بعيدٍ ونحن
نلعبُ على شاطئ البحر ، فلم يصلُ إلي أبعد من عشرات الأمتار
القليلة .. إذن أنا غيرُ حرٌّ في أن أجعل صوتي يصلُ إلى الناس ! "

ضحك الجدُّ ثانيةً ، وقال : " عقلُ الإنسانِ اخترعَ التليفون
والإذاعةَ والتليفزيون ، وأصبحَ من المُمكنِ أن يصلَ صوتُكَ ، وأن
تصلَ صورتُكَ أيضًا ، إلى كلِّ مكانٍ في الدنيا . "
وعادَ الحفيدُ يقولُ : " وحاولتُ أن أقفزَ عاليًا في الهواءِ ، فلم
أستطعَ الابتعادَ عن الأرضِ إلا مسافةً بسيطةً ، بينما أصغرُ عصفورٍ يرتفعُ
بسهولةٍ شديدةٍ عاليًا في الهواءِ !! "



قال الجدُّ : " عقلُ الإنسانِ الحرَّ اخترعَ الطائرةَ ، فاستطاعَ
أن يطيرَ بها على ارتفاعٍ لم يبلغه أيُّ طائرٍ ظهرَ على وجهِ الأرضِ . "
وأضافَ الجدُّ : " لقد استطاعَ عقلُ الإنسانِ ، عن طريقِ العلمِ ،
أن يجعلَ الإنسانَ حرًّا ، يملكُ من القدراتِ ما يفوقُ كلَّ ما تملكه
الكائناتُ الأخرى على الأرضِ . "

لا تأتوا عندي !!

اجتمعت الأنهار مع البحر ، وأخذت تشكو منه وتُعَاتِبُهُ قائلةً :
لماذا نصبُ فيك ماءنا العذب الحلو ، فتجعلهُ مالحاً لا يستطيعُ إنسانُ
أن يتذوقهُ ؟

فلما رأى البحرُ أن الأنهارَ تُلْقِي اللومَ عليه ، قال . " إذن لا
تَصُبُّوا ماءكم عندي ، فلا تتحوَّلَ مياهُكم إلى ملحٍ لا يُحِبُّهُ أحدٌ !! "
ولما كانت الأنهارُ لا تعرفُ طريقةً للتخلُّصِ من الماءِ الفائضِ
لديها إلا عن طريقِ صبِّهِ في البحرِ ، فقد استمرَّتْ تصبُّ مياهها فيه ،
بعد أن كَفَّتْ عن العتابِ والشكوى !!

